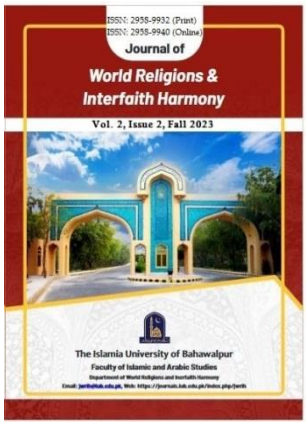


Journal of World Religions and Interfaith

ISSN: 2958-9932 (Print), 2958-9940 (Online)
Vol. 2, Issue 2, Fall 2023, PP. 144-159
HEC:https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1089593#journal_result
Journal homepage: https://journals.iub.edu.pk/index.php/jwrih
Issue: https://journals.iub.edu.pk/index.php/jwrih/issue/view/145
Link: https://journals.iub.edu.pk/index.php/jwrih/article/view/2489

Publisher: Department of World Religions and Interfaith Harmony, the Islamia University of Bahawalpur, Pakistan

Title Hazrat Sheikh Bahaa al-Din Zakaria al-Multani (566 AH-661 AH) and his efforts in benevolence, self-purification, and self-purification

Author (s): **Dr. Hafiz Abdul Rahim**
Professor, Hazrat Bahauddin Zakariya Chair /
Dean Faculty Islamic Studies and Languages, BZU, Multan

Dr. Muhammad Tahir
Visiting Faculty Member, BZU Multan

Received on: 28 November, 2023
Accepted on: 15 December, 2023
Published on: 31 December, 2023

Citation: Dr. Hafiz Abdul Rahim, and Dr. Muhammad Tahir. 2023. "Hazrat Sheikh Bahaa Al-Din Zakaria Al-Multani (566 AH-661 AH) and His Efforts in Benevolence, Self-Purification, and Self-Purification". *Journal of World Religions and Interfaith Harmony* 2 (2):144-159. https://doi.org/10.52461/jwrih.v2i2.2489.

Publisher: The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan

Journal of World Religions and Interfaith Harmony by the Department of World Religions and Interfaith Harmony is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الحضرة الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني(566هـ-661هـ) و مجهوداته في الإحسان وتزكية النفس وتنقية الذات

Hazrat Sheikh Bahaa al-Din Zakaria al-Multani (566 AH-661 AH) and his efforts in benevolence, self-purification, and self-purification

Dr. Hafiz Abdul Rahim
Professor, Hazrat Bahauddin Zakariya Chair
Dean Faculty Islamic Studies and Languages, BZU, Multan
Email: rahim@bzu.edu.pk

Dr. Muhammad Tahir
Visiting Faculty Member, BZU Multan
Email: muhammadtahirmultan@gmail.com

Abstract

Sheikh Zakaria bin Muhammad Al-Multani Al-Arabi Al-Qurayshi was born in Multan in 578 AH and learned from Sheikh Shihab al-Din al-Suhrawardi, author of the book (Awarif al-Ma'arif). This research will present the Sheikh's efforts in purification, charity, and Sufism, and his life is a lesson in the life of this new Islamic nation for the hearts of the dead. Creates a new passion for life. It is the source of Sufi life and benevolence or self-purification. In light of the strenuous efforts and the clear and invaluable impact of the personality of Sheikh Al-Islam Zakaria, may God have mercy on him, in the Indian subcontinent, a chair was allocated in the Department of Arabic Language at Bahauddin Zakaria University in Multan under the name "Sheikh Bahauddin Zakaria Chair," and work on it began in October 2007. The main objective of this chair is to promote the scientific, educational and religious services of Hazrat Sheikh Al-Islam Bahauddin Zakaria in Sufism. Islamic Sufism was promoted in the Indian subcontinent according to the Suhrawardi series at his hands.

Keywords: Hazrat Bahauddin Zakariya, Multan, Efforts purification, Sufism, Benevolence or self-purification.

الشيخ زكريا بن محمد الملتاني العربي القريشي

الشيخ الإمام العالم المحدث زكريا بن محمد بن علي القرشي الأسدي شيخ الإسلام بهاء الدين بن وجيه الدين بن كمال الدين أبو محمد الملتاني المتفق على ولايته و جلاله۔ ولد بقلعة (كوت كرور) من أطراف ملتان عام 578 هـ وأمه بنت الشيخ حسام الدين الترمذي، توفي والده وهو بعمر اثني عشر عام، فسافر الى بخارى، وأخذ العلم عن كبار الأساتذة، ثم زار الحجاز ومكث بالمدينة المنورة خمس سنوات، وأخذ عن الشيخ كمال الدين محمد اليماني، ثم رحل الى القدس ثم رحل الى بغداد وأخذ عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي [1]، صاحب كتاب (عوارف المعارف). عاد الى ملتان، ونبغ فيها وتجمع عليه التلاميذ من كل صوب، حتى وافاه الأجل سنة 666هـ تاركا مالا ورزقا كثيرا وسبعة أولاد، غسله وصلى عليه الشيخ عمر العمودي ودفن في ملتان.[2]

سيقدم هذا البحث معلومات حول المجهودات في التزكية والإحسان والتصوف لشيخ الإسلام الحضرة بهاء الله زكريا المولتاني، الشخصية العظيمة لشبه القارة الهندية، وتأثيره العميق الذي انتشر في أنحاء بلاده.

هذا العرض لحياة الحضرة شيخ الإسلام هو درس كبير في حياة هذه الأمة الإسلامية الجديدة التي تنمو في شبه القارة الهندية. سيرة حضرة الملتاني تبث حياة جديدة في القلوب الميتة. يخلق شغفًا جديدًا بالحياة. ويشجع القراء على السير على خطى أسلافهم. بينما ذهب العالم الإسلامي إلى ما هو أبعد من منبع الحياة الصوفية والإحسان أو تزكية النفس أوتنقية الذات.

نبذة عن حياة شيخ الإسلام رحمه الله

كانت ولادة الولي الصوفي شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا في كوت كرور بالقرب من مدينة ملتان في 27 رمضان عام 544 هـ الموافق 1171 م عند وقت السحر ليلة الجمعة وليلة القدر، كان الحضرة شيخ الإسلام رئيس الأولياء، كان عالم في العلوم الظاهرة، والمكاشفات ومشاهدات أحوال المقامات، تشعب من ذريته سلسلة أكثر الاولياء.[3]

ألقابه ومناقبه:

[1] سہرورد اسم المدينية تقع بين ہمدان وزنجان حضرت شہاب الدين سہروردی متوفی ۶۳۲ھ من سكانها وكذا شيخه الحضرة ضياء الدين ابو نجيب۔ انظر صباح الدين عبدالرحمن، بزم صوفياء (لاہور: زاويہ فاؤنڈيشن ۲۰۰۳) ،۸۳.

[2] عبدالحي اللكنهوي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع (حيدر آباد الدكن، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية 1954م)،1 : 120-

[3] شيخ جمالی، سيرالعارفين (دہلی: مطبع رضوی) ، ۱۰۳، صباح الدين عبدالرحمن، بزم صوفياء ، ۸۳۔

لقد لقب الشيخ بهاء الدين زكريا بألقاب عديدة ك "شيخ الإسلام" و"رئيس الأولياء" و "غوث العالمين"،[4] لقد أضاء ملتان بل القارة الهندية بكرامات ولايته خلال قيامه في مدينة ملتان، وقد أطلق على عهده اسم (خير الأعصار).[5]

ولقد دفن ابنه أبو الغانم صدر الدين محمد عارف بالله المتوفى سنة 709 هـ بقرب من شيخ الإسلام في قلعة كهنه،

وقد كان اسم والد شيخ الإسلام الشيخ وجيه الدين محمد واسم جده كمال الدين علي الشاه القريشي الذي سافر من مكة إلى خوارزم ثم إلى مدينة ملتان واستقر فيها.

تعليمه وتربيته:

لقد أكمل قراءة القرآن الكريم بالقراءات السبع في كوت كرور وكان عمره 12 سنة، وقد توفي والده آنذاك، ثم بدأ مسيرته العلمية حتى بلغ سن 25، وقد نال العلم على يد علماء خرسان وبخارا، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وفي المدينة أكمل دراسته في علم الحديث على يد الشيخ كمال الدين، ثم قضى عدة سنوات عند روضة الرسول صلى الله عليه وسلم في التفكر،[6] وبعد ذلك سافر إلى بغداد مارا ببيت المقدس وبايع هناك على يد الشيخ شهاب الدين سهروردي المتوفى سنة 432 هـ[7]

ترويج السلسلة السهروردية:

لقد تروج التصوف الاسلامي في شبه القارة الهندية وفق السلسلة السهروردية على يديه، بل ويعتبر - رحمه الله- منشئ هذه التصورات.

السلسلة السهروردية: نسبة إلى الشيخ شهاب الدين السهروردي صاحب "عوارف المعارف". وسُهرَوَرد: هي بلدة بين زنجان وهمذان.[8]

حسبه ونسبه:

كان حضرة شيخ الإسلام قريشي الأسد[9] باعتبار نسبه، وكان حضرة الشيخ سيد جلال بخاري يفتخر ويباهي بكون آباء وأجداد شيخه من رؤساء العرب وشرفائهم، وكانوا من قريش، لان نسبهم

[4] التمش الذي أعطاه اللقب.

[5] بزم صوفياء، صباح الدين عبدالرحمن،٨٣.

[6] حضرت شهاب الدين ابو حفص عمر بغدادى متوفى ۶۳۲ھ من أشهرتصانيفه: عوارف المعارف وكشف النصائح الإيمانية و بهجت الأبرار انظر شيخ جمالى، سيرالعارفين، ١٠٣.

[7] شيخ جمالى، سيرالعارفين،١٠٣، صباح الدين عبدالرحمن، بزم صوفياء، ٨٢، نور احمد خاں فريدى، تذكره حضرت بهاء الدين زكريا ملتانى (لاہور: محكمہ اوقاف حكومت پنجاب 4002)، 24.

[8] انظر ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر 1995م)،3: 289

[9] مولانا ضياء الدين ملتانى، خلاصة العارفين قلمى نسخہ بخط محرر ٩ذى الحجہ ١٣٠٣، ص٥.

يلتقي بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم في قصي بن كلاب، حيث كان لقصي ابنان أحدهما عبد المناف الذي كان جد سيد الكونين صلى الله عليه وسلم، والآخر عبد العزى الذي يعتبر الجد الأعلى لمشايخنا.[10]

طريقة السند:

طريقة سنده هو شيخ بهاء الدين زكريا، شيخ شهاب الدين السهروردي، شيخ ضياء الدين ابو نجيب السهروردي، شيخ وجيه الدين سهروردي، شيخ ابو عبدالله شيخ أسود أحمد الدينوري، شيخ ممتاز علي الدينوري، خواجة جنيد بغدادي، خواجة سري قطري، خواجة معروف كرخي، خواجة داؤد طائي، خواجة حبيب عجمي، امام حسن رضي الله عنه، علي رضي الله عنه، سيد الكونين محمد صلى الله عليه وسلم[11]

أولاد وأحفاد شيخ الإسلام - رحمه الله-

كان لشيخ الإسلام رحمه الله زوجتان: رشيدة بانو و بي بي شهر بانو،

وقد أنجبت زوجته رشيدة بانو ابنائه شيخ صدر الدين عارف، شيخ علاء الدين محمد، شيخ شهاب الدين انوري وشيخ برهان الدين، وأنجبت زوجته بي بي شهر بانو، شيخ قدوة الدين محمد، شيخ شمس الدين محمد، شيخ ضياء الدين.

وقد خلف جيمع أبنائه ذرية، إلا شيخ ضياء الدين، و شيخ برهان الدين.

وغير هؤلاء قد أنجبت له رشيدة بانو ابنة التي نكحت فيما بعد مير حسني

وابنته الثانية سلطان بي بي المعروفة ببي بي فاطمة تزوجت سلطان التاركين حميد الدين حاكم وأنجبا الوريث الأعلى للعائلة الجليلة شيخ نور الدين.

وقد ورد تاريخ أولاد شيخ الإسلام رحمه الله في كتب التاريخ والسير ولكن يذكر ولادتهم، والتي حفظت في مكتبة الخليفة، وقد يعرف منها ترتيب الولادة فقط وهو كالتالي:

1- الشيخ صدر الدين عارف

2 - الشيخ علاء الدين محمد

3 - الشيخ قدوة الدين محمد

4 - الشيخ شمس الدين محمد

[10] نور احمد خان فريدى، تذكره حضرت بهاء الدين زكريا ملتانى، ٢۴.

[11] مولانا ضياء الدين ملتانى،خلاصة العارفين، ۵.

5 - الشيخ شهاب الدين محمد

6 - الشيخ ضياء الدين محمد

7 - الشسخ برهان الدين محمد

وفي البنات كانت عائشة كبراهن.[12]

وذكر الإمام جمالي عن تعليم شيخ الإسلام رحمه الله لأبنائه: بأنه قد اختار لأبنائه أساتذة ذوا مكانة علمية، وكان يرحب بهم ويكرمهم، وكان رحمه الله يدرس أبنائه أثناء وجوده في بيته، وهذا ما جعل لأبنائه اليد الطويلة في العلم والفضل، وقد كان أحفاده يرعون مجالس التدريس في زمانه، وكان لشيخ نور الدين، شيخ علاء الدين، شيخ عبدالقادر، شيخ موسى، شيخ ادريس، شيخ محمد حسين، امام بخش شهرة خاصة.[13]

وكانت لهذه المجالس شهرة عظيمة حتى أن مخدوم جهانيان كان يذهب إلى ملتان من أجل حصول العلم.

وفاته:

لقد انتقل رحمه الله في السابع من شهر صفر سنة 441هـ الموافق 21 ديسمبر 1243 الى الرفيق الأعلى، ودفن في مدينة ملتان في قلعة كنهه، وقد بُني قبة بيضاء على قبره، والذي يُرى من بعيد، يأتون إليه الزوار من مختلف الأماكن.

مؤلفاته:

كتب شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا كتبا في مختلف المجالات، وتحتفل هذه المؤلفات بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء الأجلاء والمشائخ الكبار والسادة الصوفية العظام. وهي كالتالي:

١ - الأوراد:

ظل هذا الكتاب متدوالا بين أعلم العلم عدة قرون، وفي عهد الشيخ قطب الأقطاب شرح أحد أتباعه وهو الشيخ علي بن أحمد غوري كتاب الأوراد شرح مبسط وسماه " كنز العباد" وقد حصل النواب مخدوم مريد حسين قريشي على نسخة مخطوطة ضعيفة لهذا الشرح بعد عدة محاولات من ضلع جكوال.

لغة كنز العباد هي اللغة العربية في حين كان الكتاب الأصلى لشيخ الإسلام باللغة الفارسية، واسم الكتاب هو "اوراد" ولكنه في الحقيقة ليس كتاب الأوراد والأذكار بل هو تصنيف في الفقه

[12] صباح الدين عبدالرحمن، بزم صوفياء، ٨٢.

[13] نور احمد خاں فريدى، تذكره حضرت بہاء الدين زكريا ملتانیؒ ،٢٧٥-٢٧٤.

الصوفي فيه بيان الصلاة، والصيام، والطهارة، والتوبة والإخلاص ونحو ذلك، وقد شرحت هذه المسائل نفسها في شرح هذا الكتاب مقسمة على أبواب.

هذا المؤلف القيم يحتوي على علم الأدعية والأوراد. وفيه يبحث عن الأدعية المأثورة والأوراد المشهورة. والشيخ قام بتصحيحها وضبطها وبيان خواصها وبيان تكرارها وأوقات قراءتها وشروطها ومن غرض بيانه أن يعرف القارئ ويتمكن بسهولة على قراءتها كي يتناول ثمراتها ونتائجها في الدنيا والأخر.[14]

وفي هذا العلم يستفاد من علم الحديث, فلذا يعد هذا العلم من فروعه. وعلى هذا الموضوع كتاب الأذكار للإمام النووي, والحصن الحصين للإمام محمد الجزري, وكتاب للإمام عبد الرحمن البسطامي مفيدة جدا, كتاب الأوراد باللغة الفارسية ولكن الأوراد المذكورة فيها باللغة العربية فلذا يرى الكتاب عربيا. ومخطوط الأوراد يوجد في مكتبة جامعة بنجاب. ويقول الدكتور المولوي محمد شفيع: ولكتاب " الأوراد" نسخ عديدة, وهي في مكتبة رامفور (الهند). ولهذا الكتاب شرح بتسمية "كنز العباد" وهو شرح بسيط نفيس في مجلدين ضخمين. وله مكانة علمية كبيرة, ومؤلفه الشيخ علي بن أحمد الغوري أحد مريدي الشيخ شاه ركن عالم الملتاني رحمه الله تعالى. ونسخ مخطوطه عام 856 هـ في سمرقند, وكاتبه شمس الدين أحمد بن مولانا صدر الدين. ولكنز العباد شرح الأوراد نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة بنجاب. وكتب الشارح في بداية الكتاب " بهاء الحق والشرع والدين". وبهذا رد من أنكر أو أراب وزعم أنه من ليس من مؤلفات الشيخ زكريا الملتاني. بدأ الشيخ علي بن أحمد الغوري شرح كنز العباد على المنهج التالي: أعظم المحامد لله العظيم وأكرم الصلوات على رسوله الكريم. أما بعد! فإن هذا شرح أوراد الشيخ الأجل الكبير محي السنة, ماحي البدعة, كاشف الحقائق, مظهر الدقائق, حجة الحق والدين على الحق, بهاء الحق والشرع والدين, أسكنه في أعلى عليين. ألفه العبد الضعيف الصغير خدام الشيخ الأعظم المعظم المكرم الأكرم, قدوة الثقلين سلطان المشايخ الخافقين, ركن الحق والشرع والدين رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا وجعل الفردوس مثواه وهو على بن أحمد الغوري الساكن بخطة كرة. وسميته بكنز العباد في شرح الأوراد فالمأمول من الله القوي القدير أن يكون مقبولا لدي الصغير والكبير.[15]

[14] طاشكبري زاده : أحمد بن مصطفى،مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (بيروت: دار الكتب العلمية 1985), 2: 422,

[15] الغوري, علي بن أحمد, كنز العباد (مخطوط) (لاہور: جامعة بنجاب)، 1

وختام الكتاب: والله الموفق, وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة الشريفة الميمونة المسماة بشرح الأوراد, والله اعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.[16] يقول الشيخ نور أحمد الفريدي: إن كتاب "الأوراد" ليس كتاب الأوراد فقط بل تأليف فقهي غلب عليه لون التصوف, وذكر فيه مسائل الطهارة والصلاة والصوم وبعض موضوعاته تتعلق بالأخلاق والسيرة. وشرح هذه المسائل في شرح كنز العباد وضع على ترتيب فقهي. وطريق شيخ الإسلام ومسلكه يوافق الشريعة الغراء السامية والتصوف فلذا تأليفه " الأوراد" كأنه اسم آخر لإدراك وفهم وتعمق في مسائل الشريعة, ولا يعد عنده أوراد سوى اتباع الشريعة.[17]

وجمع في هذا الكتاب الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني قدس سره العزيز الأدعية المأثورة التي تقرأ تدعى بها في مناسبات مختلفة. مثلا الدعاء عند الخروج من البيت, وعند دخول المسجد, وعند النوم والاستيقاظ والدعاء عند دخول المرحاض وعند استعمال المشط. وذكر الشيخ بهاء الدين فيه طريقا مسنونا لأداء الصلوات الخمس وصلاة العيدين والجنازة وطريقة النوافل المختلفة وأجرها. وهذا الكتاب مستفاد من كتب الأحاديث المختلفة, وصرح بعض الأحاديث في نقلها وبعضها لم يصرح. وأرشد فيه لقراءة وتلاوة بعض الآيات والسور القرآنية في أوقات مختلفة. واعتنى بطباعة متن "الأوراد" الدكتور محمد ميان الصديقي عام 1978م/1398هـ بمشاركة مركز تحقيقات فارسي ايران وباكستان بإسلام آباد, وإسلامك بك فاؤنديشن (مؤسسة الكتب الإسلامية) بلاهور, ثم طبعت ترجمته في الأردية عام 1999م/1420هـ من مؤسسة التصوف بلاهور, وهذا العمل المهم تكمل تحت عناية الشيخ أرشد القريشي, ولا شك أنه من الأمور المهمة والأعمال الكبيرة.

٢ - أحكام الوضوء:

في هذا الكتاب بيان لمسائل الوضوء الدقيقة، طريقة الوضوء، مكان الوضوء، ماء الوضوء، وأدعية الوضوء. ونحو ذلك.

٣ - شروط الأربعين في جلوس المعتكفين:

ذكرشيخ الإسلام فيها: آداب الاعتكاف وشروطه. قال فيه الشيخ: "إن الجلوس هو الأول مقصد الدراويش وهو عزلة عن الدنيا و البقاء في وادي العزلة وهو لا غنى عنه لدرجة نبه أنه لا يمكن لطالب

[16] الغوري, علي بن أحمد, كنز العباد (مخطوط) (لاہور: جامعة بنجاب)، 1
[17] نور احمد خاں فریدی، تذکرۃ حضرۃ بہاء الدین زکریا ملتانیؒ ، 241

أن يدخل في ولاية الفقر والصوفية دون إصلاحه". في اصطلاح الشريعة والطريقة يسمى هذا الوضع بالاعتكاف. إنها طريقة رائعة لعلاج القلق والحفاظ على صحة قلبك.[18]

وفي هذه الرسالة الموجزة باللغة الفارسية يبحث فيها عن آداب وشروط الاعتكاف. وذكر فيها المؤلف أربعين شروط للمعتكفين المستفادة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومن أقوال المشايخ والأئمة. وذكر فيها بعض الأبيات الفارسية وبيتا واحدا بالعربية.

الخصائص العلمية والروحانية لشيخ الإسلام :

تشمل حياة الشيخ جوانب مختلفة فلقد كان قائدا روحيا عظيما وشخصية شاملة. ستُذكر الخدمات الدينية والعلمية والتربوية والروحية التي قدمها الشيخ في هذه الأمور حتى قيام الساعة.

ولنلقي النظر إلى صفاته الروحية والفكرية:

١ _ تلك الروحانية المشرقة! التي أضاء الأفق من ملتان وأنارت العالم كله.

٢ _ القائد الروحي الذي أعطى الديرة شرفها المنزوع، وأوضح الفرق بين الشريعة والطريقة.

٣ _ الموحِّد: الذي حطم أصنام الأنانية، وبنى السور بين الشريعة والطريقة، وجعل الأتقياء معتمدين على أنفسهم.

٤_ الخبير في التدريب والتعليم الذي أسس معهدًا عظيما باسم "مدرسة بهائية" في الحصن الملكي بملتان، والذي لم يقم فقط بتدريس علوم الشريعة، بل قام أيضًا بتشكيل مجموعات لتوضيح حقيقة الإسلام وإضاءة شموع التوحيد في جميع أنحاء العالم.

٥ _ ذلك الجواد الأعظم الذي اعتاد خلفاؤه التجارة بالسفر إلى إندونيسيا وفليبين وصين بآلاف الروبيات ونشر الإسلام هناك مع قيامهم بالتجارة.

٦ _ ذلك الشيخ الزاهد: الذي كان أثر زهده وتقواه أنه لو جلسن خادماته لطحن الطاحونة لختمن القرآن قبل أن يقمن.

٧_ ذلك المرشد الذي كان يرشد من يبايعه وقت البيعة أن لا يخون في كسبه.

٨_ ذلك الزاهد الذي يرعب من زهده السلطان ناصر الدين.

٩_ مؤرخ الإسلام: الذي قلب مجرى التاريخ الإسلامي.

١٠ _ ذلك المفكر الأعظم: الذي أوجد التجدد في الفكر والرؤية.

١١_ تلك الشخصية الروحانية: التي أعطت حياة جديدة للقلب والروح.[19]

[18] نور احمد خاں فریدی، تذکرہ حضرت بہاء الدین زکریا ملتانیؒ ، ۲۶۳-۲۴۰۔

١٢_ لم يسمح شيخ الإسلام لجميع أنواع الناس بالتجمع حوله وإنما كان يحتاج في ذلك.
١٣_ عاش في رفاهية أرستقراطية وكان في ديرته مخازن حبوب وثروة.
١٤_ لم يكن معتادا على الصيام باستمرار.
١٥_ على الرغم من أن التقبيل كان شائعًا في زمانه، إلا أنه لم يسمح لأي شخص أن ينحني أمامه.[20]
١٦_ كان مقتنعا بعلاقات عميقة مع الحكام ومسؤوليهم.[21]

قراءة القرآن كاملا في ركعة واحدة:

قال سلطان المشايخ حضرة خواجة نظام الدين أولياء محبوب الله (ت 725 ھ) وهو يذكر أن الحضرة بهاء الدين زكريا استدار للجمهور ذات ليلة وقال هل من أحدكم يصلي ركعتين الليلة. ويختم القرآن في ركعة واحدة؟ لم يوافق أحد من الجمهور على ذلك. فتقدم الحضرة... وختم القرآن في ركعة واحدة وتلا أربع أجزاء أخرى وأتم الصلاة بتلاوة سورة الإخلاص في الركعة الثانية.

وبمناسبة هذا الموضوع روى حضرة سلطان المشايخ حكاية أخرى التي قالها الشيخ كل ما لقيته كان بسبب الصلاة، لقد قمت بأوراق المشايخ والزهاد ولكن شيئًا واحدًا ما أستطع فعله وهو أنني علمت أن كذا وكذا الشيوخ يختمون القرآن من الصباح الباكر حتى شروق الشمس. على الرغم من أنني أردت ولكن لم أستطع.[22]

الجود والسخاوة:

كان إذا أعطى شيئًا لشخص ما، أعطى الجيد منه. وكافأ المعلمين الذين علموا أولادهم وأعطاهم الذهب والفضة.

ومرة احتاج والي ملتان إلى الحبوب، فطلب ذلك من حضرة بهاء الدين، فقال الشيخ إنه يجب أن يُعطى له غرفة. وحين أرسل الوالي رجاله لإخراج الحبوب من الحظيرة، وجدوا في وسط الحبوب إناءا مملوءا بالفضة. وعندما عرف الوالي بالأمر قال: إن الشيخ أعطاني حبوبًا مع الفضة. لذا ينبغي إرجاعها إلى الشيخ، وعندما رفع هذا الأمر إلى الشيخ، أرسل الشيخ رسالة تفيد بأن زكريا كان يعلم أنه أعطى تلك الحبوب مع إناء الفضة.[23]

---

[19] المصدر نفسه ص١٤-١٣.
[20] اردو دائره معارف اسلاميه، (لاہور: دانش گاه پنجاب)، ٥: ٩٥-٩٤.
[21] نور احمد خاں فریدی، تذکره حضرت بہاء الدین زکریا ملتانی،٦.
[22] حضرت خواجہ نظام الدین اولیاء، فوائد الفواد(ملفوظات) جمعه الخواجہ أمیرحسن علی سنجزی دہلوی ترجمہ خواجہ حسن ثانی نظامی دہلوی (لاہور: الفیصل أردو بازار)،١٦١.
[23] صباح الدین عبدالرحمن، بزم صوفیاء، ص٨٢.

تجول شيخ الإسلام للبحث عن الحق:

تجول شيخ الإسلام عدة سنوات في الصحراء بحثا عن مرشد يرشده، والسنتان اللتان عاشهما في فأل قد سكب عليها الماء أيضًا، فخرج من جديد في بحث بحماس وفأل في اجاه غير معرف و ظل يبحث حتى لقي مرشده الذي عرفه من النظرة الأولى أن هذا هو شيخه المقصود فذهب عنده وأنشد له بعض الأشعار.

فضمه شيخه إلى صدره وما إن ارتاح شيخ الإسلام حتى جلس عنده لطالب العلم.

وقد وهبه شيخه البيعة بدون أي شروط، وقد روي عن حضرة شيخ الإسلام أنشيخه أعطاه الخرقة التي كان يرتديها. وأعطاه سجاده الذي كان يمارس عليه عبادته طوال حياته.

وقد تعجب أتباع شيخه من العطايا الذي وهبها له، وصاروا يتحدثون فيما بينما كيف ينال هذا السندهي في يوم وليله ما لم نناله في عدة سنين فوصل هذا الأمر إلى شيخ الشيوخ فجمعهم وأعطى كل واحد منهم حماما وامرهم أن يذبح كل واحد في مكان لايراه أحد فذبح كل واحد في حجرة إلا شيخ الإسلام رجع بحمامته فظن البقية أن أخطأ وسينال جزاءه وعندما سأله شيخ لماذا لم تذبح فاجاب أن شيخي أمرني أن اذبح الحمام في مكان لايراني فيه أحد ولكني كلما ذهبت إلى مكان كان الله يراني فيه[24].

احتلال الدين والدنيا:

جاء شيخ الإسلام لخدمة حضرة شيخ الشيخ وبعد عدة أيام ذات يومحضر الشيخ وأعطى في يد حضرتة حبة رمان فقال: كلها، فلما أخذ شيخ الإسلام الرمان سقطت حبة واحدة. التقطه على الفور ووضعه في فمه.

قال الشيخ:

بهاء الدين هذه الحبة كانت في الواقع هي الدنيا، أردت ألا تسقط في براثنها، لذلك أسقطتها عمدًا، لكنك حملتها وأكلتها. الآن في حوزتك كل من الدين والدنيا، وبعد ذلك قال إنه يجب عليك الآن أن تذهب إلى ملتان وتستقر حيث أن نمو وتوجيه شعب هذا البلد قد أوكل إليك.

بعد سبعة عشر يومًا من التدريب، قام شيخ الشيخ بتعيين شيخ الإسلام خليفة له وأمر بإنشاء ديرة في ملتان. عمل في ملتان لأكثر من نصف قرن، وأصبح ديره مركزًا رئيسيًا للتعاليم الصوفية في الهند في العصور الوسطى.

[24] نور احمد خاں فريدى، تذكره حضرت بهاء الدين زكريا ملتانیؒ، ۴۵-۴۳.

ازدهرت سلسلته في الغالب في السند والبنجاب. ومع ذلك، كان أتباعه أيضًا في هرات وحمدان وبخارى. تعود شهرته إلى "النفس جيرا" (ذكاء الضمير) الذي اعتاد من خلاله إخضاع قلوب أتباعه. كان مختلفًا في نواح كثيرة عن معاصره تشيشتي صوفيا.[25]

أثر دعوة شيخ الإسلام على البيئة:

لقد كان حال الناس قبل دعوة الشيخ في منتهى الدناءة حيث كانت السرقة والخيانة أمر عام وكان عمال يطلبون ما يريدون مقابل أعمالهم، حتى قام شيخ الإسلام بالدعوة إلى الله وعمل على اصلاح سرائر الناس قبل ظواهرهم، ورباهم على الخوف من عقاب الله سبحانه، ثم كان يهتم بكل من يرغب في التعلم على يده وطريقته عيشه وكان يسأله عن كسبه ويرغبه في الكسب الحلال، وكان يقول إن اديتم فرائضكم بصفاء والنية والأمانة ستنالون البركة في الكسب والأجر العظيم في الآخرة.

وقد وجد رسالة مكتوبة بخط اليد لأحد طلاب الشيخ باللغة الفارسية اسمها " كسب نامة" [26]

وجد في أحكام الحجامة والغسيل ونصائع وفوائد لأصحاب الأسواق وقد بُدئت بأحكام الحجامة وذكر فيها الآلات التي تستخدم في الحجامة وكيفية استخدامها والأدعية المسنونة وقت الحجامة وطريقة استخدام المشرط وكيفية حمله وطريقة استخدام المقص والدعاء وقتها، وهكذا أحكام الغسيل وكيفتها والأدعية الوادرة فيها.[27]

كانت خادمات الشيخ إذ جلسن لطحن الدقيق خمتن القرآن قبل أن ينتهين وهكذا أصحاب الأسواق في زمانه تركوا الخيانة وقد وجد أثر دعوة شيخ الإسلام على الهندوس أيضا فتركوا التلاعب في المعاملات، ووجدت في الأسواق الاشياء الجيدة، فظهر الأمن والأمان وأصبح قطاع الطريق أصحاب أمن للمسافرين حيث كانوا يضعون لهم قراب مليئة بالماء تحت الأشجار ليشرب منها المارة.[28]

لم يكن شيخ الإسلام رحمه الله معتادا على الصيام باستمرار، وقد قال في بيان ذلك خواجة نظام الدين أن شيخ الإسلام لم يكن يصوم كثيرا وعلى الرغم من ذلم كان كثير العبادة.

وقال أن شيخ الإسلام كان من الذين ذكرهم الله في قوله (كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وعكس ذلك كان صاحبه عصره الشيخ بابا فريد الدين الذي كان كثير الصوم.[29]

أثر المدرسة الغوثية على الدعوة والتبليغ:

---

[25] اردو دائره معارف اسلاميه(لاہور :دانش گاه پنجاب)، ۵: ۹۵-۹۴۔

[26] تاريخ بنگال، مرتبہ جادو ناتھ سركار، ۲: ۷۰-۶۸۔

[27] عبدالحق محدث ،اخبار الاخيار(دہلی:۱۳۰۹ھ) اردو ترجمہ اقبال الدين احمد(كراچی: ۱۹۶۳ء)،۳۷۔

[28] شيخ جمالی، سير العارفين، ۲۲۔

[29] حضرت خواجہ نظام الدين اولياء، فوائد الفواد(ملفوظات)،۴۴۰۔

قد أنشأ شيخ الإسلام مدرسة دينية علمية وصوفية في احدى جوانب ديرته والتي كانت لها قسمان: أحدهما لإعداد العلماء بينما القسم الآخر كان لإعداد دعاة الإسلام، وقد كان يتم تعليم الدعاة لغة وثقافة البلد الذي سيتم إرسالهم إليه حت. لا يشعروا بالغربة عند وصولهم، وقد قام بتعيين خبير كل لغة في مدرسته، وعندنا يتخرج العلماء من مدرسته كانوا يُرسلون حسب رغبتهم إلى بلدان مختلفة وللدعوة والوعظ.

وقد كان يعطي لكل داعي خمسة آلاف روبية ليشتري له بضائع مفيدة ومناسبة للبلد الذي يذهب إليه وكان يزودهم بالنصائح التالية:

١_ أن يبيع البضائع بربح منخفض.

٢_ أن يجري المعاملات وفق تعاليم الإسلام.

٣_ ألا يبيع بضائع ذات نقص بل يوزعها على الفقراء والمحتاجين.

٤_أن يتعامل مع المشتري بابتسامة ووجه بشوش.

٥_ألا يدعو الناس إلى الإسلام قبل أن ينال ثقتهم ورضاهم.

وبهذه الطريقة، يقوم دعاة الدين هؤلاء، تحت ستار التجارة، بتحميل البضائع على متن قوارب، وعندما يصلون إلى جاوة، وسومطرة، والفلبين، والصين، يفتحون بضائعهم ويتاجرون بأمانة، وفي نفس الوقت يدعون الناس إلى الإسلام- ويتأثر الناس برؤية أخلاقهم الحميدة، وقوتهم، وتقواهم، وصدقهم وطهارتهم في شؤونهم، ويدخلون في دين الإسلام- واليوم، فإن ملايين المسلمين في جزر الشرق الأقصى الصغيرة هم الكفاح الدؤوب لهؤلاء الدعاة التجار.[30]

إن دعاة الإسلام لم يفرضوا نفقاتهم على بل كان شيخ الإسلام يشتري لهم بضائعهم وزادهم بآلاف الروبيات، فأينما استراحت قافلتهم وضعوا الأسواق والمخيمات.

ولقد اعتاد الحراس على تحريض الشباب على الجهاد من خلال تنظيم مهرجانات يوميا تتميز بسباق الخيل ورمي الرماح والمبارزة.

وفي جانب يقوم العلماء في حشود من الملايين بتعليم القرآن والحديث، وفي جانب آخر يقام حلقات الصوفية الذين يبينوا للناس طريقة تقوية الصلة برب العباد.

وعندما تعود وفود دعاة الإسلام يلتقي بهم شيخ الإسلام ويستمع إلى أنشطتهم ويحل مشاكلهم.

[30] حضرت خواجہ نظام الدین اولیاء، فوائد الفواد(ملفوظات)، ۴۴۰۔

وقد كان شيخ الإسلام من العباد في عصره، ويعلم الناس تزكية النفوس في حجرته،بل كان يقيم حلقات في المسجد للدورس والوعظ، فبعض الأحيان كانت جماعات غير مسلمة تدخل في دين الله افواجا، علاوة على ذلك كانت محضرات الشيخ يتأثر على العصاة والفساق، فيعطون أموالهم في سبيل الله ويلازمون الشيخ ودروسه.[31]

أثر دعوة شيخ الإسلام القوي على السياسة:

كان لدعوة شيخ الإسلام أثر عميق على سياسة القرون الوسطى، حيث ساعد السلطان التتمش بشكل كبير للحفاظ على سلتطه ((٦٠٧هـ، ١٢١٠م إلى ٦٣٣هـ، ١٢٣٥م) وقبل منه اللقب الاعتزازي الذي لقبه بها وهو "شيخ الإسلام ".

وفي عام ٤٤٠هـ _ ١٢٤٦م عندما حاصر المغول ملتان وانضم إليهم حاكم هرات، عرض الشيخ على الغزاة مائة ألف دينار وأقنعهم على رفع الحصار.[32]

الاكابر و خلفاء و العظماء لديرة غوثية:

ذكر السيد نور محمد خان فريدي في كتابه تذكرة السيد بهاء الدين زكريا ملتاني عنوانًا بعنوان "النجوم الساطعة على سماء غوثيت " حيث قدم قائمة بجميع أسماء خلفاء في جنوب آسيا الذين لهم علاقة روحانية بهذه المدرسة الدينية العظيمة، هؤلاء هم العظماء الذين، على الرغم من ارتباطهم بهذه العائلة، أمضوا حياتهم كلها في الغموض والستر ولم يسمحوا لأنفسهم بالظهور والشهرة- و هؤلاء الطائفة الذين امرهم الشيخ بانتشار في جميع أنحاء العالم ثم استمرت من جيل إلى جيل ومن الخلفاء إلى الخلفاء حتى أصبحت الأرض من المغرب إلى جاوة وسومطرة غنية ببركات سرمادية ودين محمدية ليومنا هذا.[33]

وفقًا لرواية الشيخ جلال الدين التبريزي، فقد أخبر شيخ الإسلام بعدد جميع شركائه الذي يصل إلى ألوف.

وعدد الذين تولوا سجادته واجد وثلاثون[34] و في الوقت الحالي صاحب السجادة هو مخدوم شاه محمود قريشي.

التعليمات الصوفية:

وهنا نسلط الضوء على الوصايا والتعليمات الصوفية التي كتبها شيخ الإسلام لتلاميذه:

[31] نور احمد خاں فريدى، تذكره حضرت بہاء الدين زكريا ملتانى، ٦٧-٦٥۔

[32] المصدر نفسه ص ٦٧-٦٤۔

[33] اردو دائره معارف اسلاميه(لاہور :دانش گاه پنجاب)،٩٥-٩٤۔

[34]مولانا ضياء الدين ملتانى،خلاصة العارفين ،٤٧۔

كان يقول: يجب على العبد أن يعبد الله حق العبادة وأن يخلص في ذلك وينفي عبادة غير الله. وطريقة ذلك أن يصلح العبد أحواله ويحاسب نفسه في كل قول وفعل، لا يتكلم في ما لا يعنيه ولا يقوم بعمل لا فائدة منه، وأن يطلب من الله التوفيق والسداد قبل أن يقوم بأي فعل او يتكلم بأي كلام.[35]

الزم على نفسك ذكر الله سبحانه، فإن بالذكر يصل العبد لمنزلة المحبة، والمحبة تلك النار التي تحرق جميع الأوساخ والذنوب، وعندما ترسخ المحبة في النفس، يكون ذكر المحبوب كأنك تراه، وذلك هو الذكر الذي ذكر الله في قوله (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون).

كان يقول أنه يجب على العبد أن يحافظ على قلبه ويخرج منه ما سوى الله، وأن يحرم على نفسه صحبة أهل الدنيا وينشغل في عبادة الله سبحانه.

خلاصة القول

- لم يكتب المؤرخون والكتاب الكثير عن حياة شيخ الإسلام ومجهوداته العلمية فقط بل تم نشر عديد من المقالات والدراسات التاريخية والبحثية وسيستمر نشرها.
- أثر دعوة شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا ملتاني وتعاليمه الدينية كان ولا يزال حتى الآن.
- تعاليم العلماء تعتبر ذخيرة عظيمة وبها يصل الإنسان إلى معرفة التوحيد والتقرب إلى الله وتزكية النفس والإحسان وإخلاص المحبة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم والرضا بالقضا والتواضع والصبر.
- تشتمل تعليماتهم على الاجتناب عن التكبر والغضب وحب المال ومدح النفس، وأيضا الخوف من غير الله والاصرار على المعاصي ونحو ذلك.
- بذل الشيخ زكريا حياته في نشر وترويج علوم كتاب الله عز وجل والسنة النبوية الشريفة،حيث إنه كان يدرس الطلاب ويزكي نفوسهم وأذهانهم وفق تعاليم الكتاب والسنة. وموعظته يدور حولهما, وهكذا يربي السالكين والمريدين والمحبين له.
- وتوفي هذا الشيخ الكبير بعد سطوع أنوار العلوم في مختلف بقاع المعمورة خاصة في القارة الهندية في شهر صفر المظفرسنة ٦٦١ للهجرة.

[35] نور احمد خاں فریدی، تذکرہ حضرت بہاء الدین زکریا ملتانی ،۲۸۶-۲۷۷۔

وفي ضوء الجهود المضنية والأثر البين الذي لا يقدر بثمن لشخصية شيخ الإسلام زكريا رحمه الله في شبه القارة الهندية قد خصص كرسي في قسم اللغة العربية جامعة بهاء الدين زكريا في ملتان تحت مسمى "كرسي الشيخ بهاء الدين زكريا" والذي قام العمل عليه في أكتوبر عام 2007م، والهدف الرئيسي من هذا الكرسي هو تعزيز الخدمات العلمية والتعليمية والدينية لحضرة شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا، وكذلك فن الصوفية؛ وليمكن القيام بذلك بأفضل طريقة، ومما لا شك فيه أن إنشاء هذا الكرسي لا يكون فقط ترجمة للشخصية الحقيقية لحضرة شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا ملتاني بل ستقدم العديد من الشخصيات الصوفية المشهورة.

وقد تم اعداد مشروع بحثي تحت رعاية هذا الكرسي تحت عنوان " موسوعة شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا للصوفية"

في هذه الموسوعة يتم جمع مقالات عن الحضرة شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا وفن التصوف والصوفية باللغات التالية: العربية والأردية والإنجليزية واللغات الإقليمية بطريقة بحثية.

وفقنا الله سبحانه لاتباع تعاليم العلماء العظماء ونشر رسالتهم العظيمة، آمين نعم المولى ونعم النصير۔